الموقف من الدرس اللساني المعاصر بين الانقسام الحاصل والتغيير المنشود

The opinion about the contemporary linguistic lesson between the actual division and the desired change

عبد الله باوني [1*]

[1] جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي- تبسة (الجزائر) .

تاريخ الاستلام : 10 جويلية 2023 ؛ **تاريخ المراجعة :** 04 ديسمبر 2023 ؛ **تاريخ القبول :** 27 ماي 2024

ملخص:

البحث اللساني العربي تائه بين الوفاء لأصوله وتراثه والدفاع عنهما، وبين الاستسلام لما جد من معطيات معاصرة في الدرس اللساني والانبهار بها، وبين رأي ثالث يتمسك بإرثه التليد ولا يرضى له إبعادا أو تنازلا، ويعتبر ما جد من مناهج ونتائج معاصرة في هذا الدرس اللساني مكسبا وفتحا هامين وآليات مساعدة يمكن، إن أحسنا توظيفهما، في إعادة دراسة تراثنا اللغوي تحقيق نتائج أفضل وأهم ما، يضمن استفادة وإفادة بالغتين. يتناول هذا البحث بالدراسة إشكالية الانقسام السابق بين اللغويين العرب المعاصرين، وما أوحى إليهم ضمنا أو فرض عليهم فعلا، من حتمية التموقع أمام هذا الإشكال، وهل سيبقى هذا الانقسام سمة للمرحلة اللاحقة؟ وهل يمكن العثور على معطيات جديدة تنهي هذا الانقسام أو تحد منه على الأقل؟ معطيات تبعد فكرة السباق المحموم بين عدة أطراف لنيل جائزة واحدة إلى فكرة تسابق من نوع آخر، الفوز فيها للجميع والجوائز لكل المتسابقين ولكن بقدر اجتهاد كل متسابق.

الكلمات المفتاحية: الدرس اللساني؛ التراث اللغوي؛ مناهج البحث؛ انقسام.

Abstract:

Arab linguistic research is lost between loyalty to its origins and heritage and surrendering to the new contemporary data found in the linguistic study. A third opinion also clings to its ancient legacy and does not accept its removal or concession. It considers the new contemporary methods and results in this linguistic lesson as an advantage and auxiliary mechanisms to achieve better results if we can use them well in re-studying our linguistic heritage.

This research examines the problem of the previous division among contemporary Arab linguists, and what implicitly inspired them, or actually imposed on them from the inevitability of positioning themselves in front of this problem. Will this division remain a feature of the next stage? and is it possible to obtain new data that end this division, or at least limit it? Data that turns the idea of a frenzied race between several parties to win one prize to the idea of another race in which everyone wins and the prizes are for all the contestants, but to the extent of each contestant's diligence.

Keywords: linguistic lesson, language heritage, research methods, division.

*Corresponding author: e-mail: abdallah.baouni@univ-tebessa.dz.

مقدمة

لا يجد الدارس المنصف صعوبة كبيرة في اكتشاف النقلة المنهجية التي أحدثها الاسلام قبل أربعة عشر قرنا، حينما اجتاز القرآن الكريم بعد نزوله بالعقل مرحلة النظر البسيطة المسطحة المفككة المعاينة للظواهر والأشياء كما لو كانت منعزلة ومنفصل بعضها عن بعض إلى مرحلة النظر الشاملة للمواضيع المختلفة في مختلف المجالات، وفي القرآن الكريم إشارات متعددة في مختلف صوره تؤكد ذلك منها قوله تعالى: {قل انظروا ماذا في السموات والأرض} [يونس: 101]، وقوله تعالى: {وفي أنفسكم أفلا تبصرون} [الذاريات: 21]، إضافة إلى آيات أخرى كثيرة تحث كلها على ضرورة "النظر" و"التبصر" و"التدبر" و"الفهم" و"العلم" إيمانا وعملا بما جاء فيه من توجيه وإرشاد، جاعلا العقل سبيلا للمعرفة وطريقا للحضارة المبنية على أصوات بشرية، رافضا في الوقت نفسه التقوقع داخل حدوده أو نسبة انجازاته إليه وحده، فهو ليس الحد الأعلى للعلم والمعرفة على وجه هذه البسيطة، مقرّا بجهله أمام كل ما أحاط بعلمه، فإن غرّه شعور بالقوة والسيادة مرّة، رده شعور بالخوف والفزع وقلة الحيلة مرّات أخرى عديدة.

فلماذا رضي أغلب اللغويين العرب المعاصرين التنصل من تراثهم اللغوي المتصل بالنص القرآني المعجز ورضوا بذل التبعية لدرس لساني معاصر لم يفتأ أصحابه يعاملونهم ولغتهم معاملة استعلاء ونقص؟

1- غنى التراث اللغوي العربي وتجدده:

إن اللغة العربية هي صنع القرآن وجودا وإحياءا، ولها به ارتباط وعلاقة فهي وثيقة الصلة بالدين الإسلامي وتظهر هذه العلاقة الوثيقة بقوة في ارتباطها بالقرآن الكريم إذ بها نزل فوحد لهجاتها ورفع قيمتها بين الأمم، وأقبل عليها من ليس من أبنائها تعلما وخدمة، ولعل أعلام علوم اللسان جلهم من العجم : يونس وسيبويه والأخفش والكساء والفراء وابن جني وغيرهم خير دليل على ذلك، والعلاقة بين اللغة والقرآن دفعت من يريد فهم القرآن أن يتقن العربية، ويدرك أساليبها ليكون في مأمن من التعثر في فهم كتاب الله العزيز الحكيم وحتى يتمكن من الوصول إلى إدراك مرادات الله تعالى من كلامه المودع في كتابه المنزل، ولا عجب أن يكون القرآن مدركا من مدارك النحو واللغة عليه كل الاعتماد من حيث لفظه وأسلوبه، وهذا ما يفسر لنا اعتماد النحاة واللغويين والبلاغيين اعتمادا مطلقا على القرآن في تثبيت قواعدهم وبنائها. يقول الدكتور **عبد الكريم يافي**: "أهم ميزة للغة العربية تشرفها بنزول القرآن الكريم فيها حين أصبحت لغة الوحي ولغة اتصال الأرض بالسماء ...ولقد حفظ العرب والمسلمون قرآنهم فحفظ لهم لغتهم، ولا شك أن استمرار اللغة العربية وخلودها متصل بالقرآن الكريم" (عبد الرحمان الحاج صالح، 2008).

- لقد كان حرص العرب على القرآن الكريم هو الحافز لحرصهم على اللغة العربية ومقاومة ما قد يعرض طريقها من لحن، الأمر الذي "جعل أولي الأمر واللغويين يقفون موقف المدافع عنها، فبدأت المصنفات اللغوية في وقت مبكر مما جعل أحد المستشرقين يقول: لا يوجد شعب يحق له الفخار بوفرة كتب علوم لغته،

وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب، وقد يرجع النهوض بالدراسات اللغوية عند العرب نهوضا مبكرا ملؤه النشاط إلى الحاجة إلى التفرقة بين الفصيح ومختلف اللهجات ... وذلك فضلا عما للعرب من نزعة إلى التفقه في اللغة، تلك التي تجلت مبكرة في دراسة القرآن اللغوية وفي تفسيره" (عيسى شحاتة عيسى علي، 2001).

- المتمعن في بنية النص القرآني ومكوناته يجدها لا تختلف عن بنية النص الأدبي العربي من حيث الألفاظ وأنظمة بناء الجملة "فالألفاظ عربية متداولة في الشعر العربي ونظام بناء الجملة فيه يعتمد أنواع الجمل المعروفة في النص الشعري العربي ولكن الذي ماز الخطاب القرآني من النصوص الشعرية هو نظم هذه المفردات وارتباطها بعضها ببعض في أساليب لم يعرفها العربي فجاء نسجا جديدا" (الخالدي كريم حسين ناصح، 2007).

- وإذا كنا قد رأينا أن القرآن معجز فإن بعض إعجازه يعود إلى جمال تراكيبه، وإذا أردنا أن نتبع عناصر الجمال فيه فلا بد أن ننسبها إلى "وسائل ترابط المباني بالمعاني ربطا يبعث في النص الإحساس بالجمال ، وتتدرج هذه المباني في مخارج الأصوات وصفاته إلى صياغة الكلمات المفردة إلى اختيار مفرده دون أخرى إلى ما في النص من الصور البيانية والتصوير الوقائعي إلى غير ذلك من وسائل التعبير" (تمام حسان، 2008)، ففي **قوله تعالى : وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** [هود: 43]، قال **عبد القاهر الجرجاني**: "ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض تم إضافة إلى المكان دون أن يقال ابلعي الماء ثم أن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم أن قيل وغيض الماء فجعل الفعل على صيغة (فُعِلَ) الدالة على أنه لم يغض إلا بأمر آمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى : "وقضي الأمر"، ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو (استوت على الجودي) ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة قيل في الخاتمة بقيل في الفاتحة. أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملؤك بالإعجاز روعة، وتحضرك عند تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع، وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ من الاتساق العجيب ؟" (الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمان، 1992). ويقف كثير من العلماء نفس الموقف، يقول الخطابي -مثلا-: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني " (الخالدي كريم حسين ناصح، 2007).

- والنظرة لهذه الأهمية عند السابقين لا تتمايز عن مثيلتها عند الدارسين المعاصرين. يقول **الرافعي** عن هذه الأهمية : "تآلفت كلماته (القرآن) من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره، أو أقحم معه حرف آخر لكان ذلك خللا بينا، أو ضعفا ظاهرا في نسق الوزن وجرس النغمة، وفي حسن السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة، وبراعة المخرج، وتساند الحروف، وإفضاء بعضها إلى بعض، ولرأيت لذلك هجنة في السمع كالذي

تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها، وخرج بعضها طولا وبعضها عرضا، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة" (بغدادي بلقاسم، 1992)، ومن اجتهادات دكتور **تمام حسان** الشارحة، يقول مثلا فيه (تاء) استطاعوا والمقابلة بينها وبين "اسطاعوا" وانظر إلى المقابلة بين "اسطاعوا" و"استطاعوا" في قوله: ﴿**فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا**﴾ [الكهف: 97] وللدلالة على أن تسلق السور أيسر من ثقبه من حيث المبدأ وذلك أن ذي القرنين حين قال : **آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا**﴾ [الكهف: 96]، فكانت لزوجة القطر حائلا دون التسلق، وكان حديد جسم السد حائلا أيضا بصورة أشد دون نقب السد فاستحال على يأجوج ومأجوج أن يستطيعوا التسلق أو يستطيعوا النقب فكانت التاء في "استطاعوا" دالة على الصعوبة الكبرى في محاولة النقب" (تمام حسان، 2008).

- وفي القرآن الكريم كثير من الآيات التي احتارت بها عقول الباحثين وأثارت تساؤلاتهم وحركت أذهانهم للبحث عن حقيقة استعمال هذا الحرف أو ذاك... ويتضح مما ذكر سابقا أن الحرف تتغير دلالته بتغير دلالة الفعل الذي يتعلق به، وفي ضوء ذلك ظهرت مباحث كثيرة... كما تتغير دلالة الحرف بحسب بناء الجملة وطريقة ائتلاف الألفاظ وقد ترد الحروف في القرآن الكريم معدية للفعل، وقد يتعدى الفعل نفسه من غير حرف وهذا كثير في القرآن الكريم" (الخالدي كريم حسين ناصح، 2007).ويتضح السرّ أيضا في أنه لما قرئ القرآن على العرب "رأوا حروفه في كلمات وكلماته في جملة ألحانا لغوية رائعة، كان لائتلافها وتناسقها قطعة واحدة، قرائنها هي توقيعها. فلم يفتهم هذا المعنى ، وأنه أمر لا قبل لهم به، وكان ذلك أبين في عجزهم" (الرافعي مصطفى صادق، 1973).

2- أصول النظر العلمي في اللغة عند العرب:

وقد أجمع العلماء والباحثون على أن الأصول التي قام عليها التفكير النحوي عند العرب، وبمعنى أدق أصول النظر العلمي في اللغة عند العرب تقوم على ثلاثة مبادئ أو أصول هي: "السماع والقياس والعامل. وقد مزجت هذه الأصول الثلاثة بين وصف اللغة وتعليمها، حيث تتمثل الوصفية في السماع وتصنيف المادة اللغوية المسموعة وتحليلها ووضع المصطلحات الدالة على ذلك، في حين تتمثل المعيارية في التعليل والقياس ليلحق غير العربي بأهل العربية كما قالوا .ولم يكن علماء العربية في هذا المزج بين المعيارية و الوصفية بعيدين عن مفهوم العلم الصحيح لان غاية العلم في ذاتها هي تفسير الواقع وبيان اسراره وليس هناك ما يمنع ان يجعل من هذه الغاية التفسيرية وسيلة عمل نفعية، أو بعبارة أخرى ان يحاول تفسير الواقع من أجل إستغلاله " (حلمي خليل، دت) .

وعليه يمكن القول مع الأستاذ **عباس حسن**:" أينا لا تبهره العناية المعجزة التي بذلها الأولون في جمع أصول اللغة ولم شتاتها، واستنباط أحكامها العامة والفرعية وحياطتها بسياج من اليقظة الواعية والحيطة الوافية" (أحمد مختار عمر، 1998). وفيما يأتي وقفة مع هذه الأصول وشرح مبسط لها:

2-1- السماع: السماع هو الأصل الأول في مباحث النحاة المتقدمين وفي تنفيذاتهم ، فقد كان أداة جمع اللغة واستقصاء قوانين بناءها ، وكان للنحاة في ذلك سبيلان:

1- النقل أو الرواية . 2- مشافهة الأعراب في البوادي .

ويدخل في السبيل الأول : القرآن والحديث الشريف وما سمعه النحاة من الرواة والأعراب الذين كانوا يفدون إلى البصرة . ويدخل في السبيل الثاني ما نقله النحاة أنفسهم من مشافهة الأعراب في بواديهم وتسجيل أنماط مختلفة من كلام العرب : شعره ونثره.

أ-القرآن الكريم:

من المنطقي أن نعد القرآن الكريم مصدرا مهما من مصادر السماع قبل أبي الأسود إياه، وهو بعد ذلك نص موثوق بالسماع والكتابة ولقد اجمع النحاة على الاحتجاج بالقرآن، وعدوا لغته في المرتبة العليا من كلام العرب فصاحة وتوثيقا. "فلا عجب إذا أن أحدا من متقدمي النحاة أو متأخريه لم يشذ عن عد القرآن الكريم أعلى النصوص العربية رتبة في الاعتماد عليه لاستخلاص قواعد كلام العرب، إلا أنهم اختلفوا في مسألة القراءات، ولا سيما ما عدوه منها شاذا" (علي مزهر محمد الياسري، 2003).

- ويوضح الدكتور **تمام حسان** أمرا مهما هنا فيما يتعلق بهذا الأصل يقول:" وحين نقول القرآن الكريم لا نعني النص الشمولي الكلي الموحد المتجانس للكتاب الحكيم، لأن النحاة لو فهموا باللفظ هذا المعنى لما كان لأحد منهم أن يجادل في الاحتجاج بآية واحدة من أفصح نص بالعربية، ولا أن يخضع لأقيسة اخترعها النحاة اختراعا وجردوها تجريدا، وإنما نقصد بالقرآن عددا من القراءات التي قد يكون بين إحداها والأخرى خلاف في صوت أو لفظ أو تركيب نحوي لآية من آيات القرآن" (تمام حسان، 2000). فقد اتفق النحاة على الاستشهاد بالقراءة المتواترة العامة لتقرير قواعدهم أو لتأييدها ، واختلفوا في الموقف من القراءات الضعيفة أو الشاذة ،وقد كان معيار الحكم بصحة القراءة أو شذوذها يقوم على السند الصحيح غير المنفرد وموافقة رسم المصحف في المقام الأول، ثم سلامة العبارة القرآنية من الخطأ النحوي منذ عهد مبكر عند الصحابة ومتقدمي القراء.

ب- الحديث الشريف :

هو مادة السماع الثانية، لكن النحاة لم يعتمدوا عليه في بناء القواعد النحوية إلا قليلا ،فالرسول –ص- أفصح العرب، ورواية الحديث الشريف قد خضعت لمعيار نقدي دقيق في توثيق السند والمتن فكانت حركة

الجرح والتعديل تشريعا علميا مميزا. غير أن النحاة ،فيما يبدو، " لم يطمئنوا على الرغم من ذلك كله إلى لغة الحديث لأن رواية الحديث كانت قد اتسعت اتساعا كبيرا وكثر المستغلون بها قبل تدوينه ... كما أن الرواية الشفهية استمرت زمنا طويلا،فلم يثبت الحديث الشريف بالكتابة إلا بعد قرن من الزمان مما يجعله عرضة للزيادة أو الاختصار أو النقل بغير النص الأصلي الذي فاه به الرسول الكريم،ذلك لأن الاهتمام كان ينصب على معناه لا على لفظه.أغلب الظن إذن أن انصراف جمهور النحاة عن الاستشهاد بالحديث الشريف، أو قلة استشهادهم به– بتعبير أدق– متأت من انه وثق بالمعنى ونزاهة السند من دون الالتفات إلى مدى موافقة المنقول كلام رسول الله-ص-" (تمام حسان، 2000).

ج- كلام العرب:

كلام العرب شعره ونثره، هو الميدان الثالث للسماع، وقد جعلوه مقدما على غيره من الأدلة، ذلك لأنه الميدان الأمثل لاستنباط قواعد اللغة من خلاله ، وقد فعل النحاة ذلك وكان لهم في هذا الاتجاه طريقان:

1- السماع من الأعراب الذين كانوا يفدون على البصرة ولا سيما على المربد وسوقها الشهير، فقد كان اللغويون والنحاة يتلقونهم هناك ويسجلون عنهم ما يسمعون من لغتهم ... ولعلنا نتبين ما بلغه المربد من شأن إذا عرفنا أن الموسوعي العربي الكبير"**الجاحظ** " تلقف الفصاحة عن العرب شفاها بالمربد "والتلقف هنا يحمل معنى الشوق والتسابق للاستفادة من هؤلاء النفر من الأعراب الوافدين على البصرة ..." (علي مزهر محمد الياسري، 2003).

لقد كانت البصرة سابقة للأخذ عن الأعراب الوافدين،" وكان عدد كبير من الرواة العرب الذين استوطن عدد منهم البصرة وحاول أن يشارك في النشاط العلمي فيها، وكان من أشهر هؤلاء **المنتجع بن نهان** الذي كان يتكلم في اللغة عن لهجة تميم، و**أبو مهدية** الذي كان يتكلم في اللغة على لهجة الحجاز...ويبدو أن العلماء صاروا لا يجدون ضالتهم لدى هؤلاء الأعراب بعد أن طال ترددهم على البصرة أو إقامتهم فيها لأمرين" (علي مزهر محمد الياسري، 2003):

1- " أن عددا منهم لانت لغته لاختلاط الكثير بمجتمع المدينة أو لكبر سنه .

2- أن العلماء وقد تشعبت مسالك درسهم لم يجدوا في ما بقى من ذخيرة هؤلاء الأعراب من يجيب عن أسئلتهم المختلفة، أو أن هؤلاء الأعراب بدؤوا يصطنعون الإجابة عن كل شيء حفاظا على ما حصلوا عليه للرواية من منزلة اجتماعية ومصدر للعيش والتكسب" (علي مزهر محمد الياسري، 2003) .

- وعندما بلغت الحال هذا المبلغ وقلة ثقة العلماء بالرواة الأعراب، ولم يجدوا عندهم إضافة لما قدموا بدأت المرحلة الثانية من السماع بالرحلة إلى البادية وسماع اللغة في موطنها ومن أهلها الذين لم يختلطوا بغيرهم من الأقوام.

2-2- القياس:

- ويعرض الدكتور **تمام حسان** لهذه الجزئية بالشرح فيقول: "القياس في عرف النحاة كان إما من قبيل القياس الإستعمالي، أو من قبيل القياس النحوي، والأول هو انتحاء كلام العرب، وبهذا المعنى لا يكون القياس نحوا وإنما يكون تطبيقا للنحو . أما الثاني فهو "حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه " ، والقياس التطبيقي الإستعمالي هو وسيلة لكسب اللغة في الطفولة ... أما القياس الثاني فهو القياس النحوي، أو النحو كما يراه النحاة، وإذا كان القياس الأول قياس الأنماط فهذا القياس الثاني قياس الأحكام ، وإذا كان الأول هو "الانتحاء" فإن الثاني هو "النحو" ولعل الذي دعا **ابن سلام** إلى وصف **الحضرمي** بأنه "مد القياس" هو معرفته بأن الحضرمي قد حول النحو من طابع "الانتحاء" التطبيقي الذي رسمه **علي بن أبي طالب** بقوله: "انح هذا النحو يا أبا الأسود"إلى الطابع النظري الذي يتسم بقياس حكم غير المسموع على حكم المسموع في معناه" (تمام حسان، 2000).

ويرى بعض الدارسين المعاصرين أنه كان على الأصوليين" أن يفرقوا بين القياس الذي هو عملية عقلية يجريها العربي بفطرته أو النحوي بصنعته (عملية الحمل) .وبين القياس الذي هو قواعد نحوية مسجلة في كتب النحو أو أصوله يتعلمها الطالب ليفقد أنظمة لغته أو يعمل بها المجتهد لمساعدة المتخصصين في فهم النحو وأصوله" (تمام حسان، 2000).

3-2- التعليل :

يرى كثير من الدارسين المعاصرين أنه من الطبيعي أن يتساءل النحاة عن سبب يقف وراء الظواهر اللغوية التي يدرسونها ،ولا سيما أن التفكير في السبب " سمة إنسانية فطر الإنسان عليها بل حثه الله على النظر والعلم والتدبر والبحث عن الأسباب، ثم إن الانتهاء إلى أسباب مقنعة من شانها أن يجعلها مرتكزة على دعائم محددة الأهداف التي توخت اللغة تحقيقها من وجهة نظرهم" (عمايرة حليمة، 2006)، ولتحقيق دلك أراد القرآن الكريم أن يجتاز بالعقل مرحلة النظرة التبسيطية المسطحة المفككة التي تعاين الأشياء والظواهر، كما لو كانت متقطعة معزولة منفصلا بعضها عن بعض إلى مرحلة النظرة العميقة الشاملة في مختلف المجالات ...ولهذا وجد العقل المسلم أنه مدفوع إلى "النظر" و"التبصر" و"التدبير" و"الفهم" و"العلم" " (الملغ حسن خميس سعد، 2000).

- والحق أن "التعليل" يمثل عنصرا أساسيا في الدرس النحوي عند العرب، وإذا كان "التعريف لم يظهر ظهورا واضحا في المراحل الباكرة، فإن التعليل كان من الأصول الولى ، وقد ظل يتطور حتى غلب على الفكر النحوي كله. وقد عرف النحاة الأوائل بأنهم " معللون "، وتذكر الروايات أن **ابن أبي إسحاق** هو "أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل " ويكاد كتاب سيبويه أن يكون مبنيا كله على التعليل والحوار الذي يجري فيه دائما بينه وبين أستاذه الخليل يبدأ في الأغلب الأعم بالسؤال عن العلل، على أن هذه العلل لا تذهب بعيدا وراء

التفسير المباشر وتكاد تتمثل في تعليل الظواهر التركيبية بالرجوع إلى المعنى، أو بتفسير الشكل التركيبي نفسه، أو بكثرة الاستعمال (الراجحي عبيدة، 1995) .

2-4- العامل :

كان لابد للنحاة بعد ذلك السعي الدؤوب في وصف الظواهر اللغوية وتعليلها من محاولة تصنيفها، مما يسهل عليهم التعرف على أنظمتها وصياغتها في قواعد مضبوطة تشكل في مجملها هيكلا شاملا للغة، وقد كان هذا بوحي من نظرية العامل التي تعد نتيجة منطقية للتعليل ،فصنفوا بذلك الكلم إلى اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل " وصنفوا الكلمات وفقا لما يطرأ على أواخرها من تغيير وعدوه أثرا للعامل، فصنفت إلى مبنية، بمعنى لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من السكون أو الحركة ... ويقع البناء على عدة أضرب هي: الضم والفتح والكسر، والوقف (نقلا: سيبويه: الكتاب 3/1) وكلمات معربة بمعنى تغير أواخر الكلم بدخول العوامل عليها لفظا أو تقديرا، ويقع الإعراب في أضرب هي: حالة الرفع وحالة النصب وحالة الجزم، وهي خاصة بالأفعال، وحالة الجر (و هي حالة خاصة بالأسماء)" (عمايرة حليمة، 2006).

3- إسهام التقدم العلمي في اطراد وتسارع الدرس اللساني والمعاصر:

- علم اللغة الحديث أو ما يصطلح عليه بـ:(Modern linguistics) يبحث في مناحي اللغة المختلفة ومواضيعها المتعددة خاصة منها الجانب الهام المتمثل في النحو، وهو في أغلب الكتابات المعاصرة يشير إلى اتجاهات البحث في القرن العشرين التي ترجع أصولها النظرية إلى اللغوي السويسري **فرديناند دي سوسير**(1857م، 1913م) واللغوي الأمريكي **سابير** (1857م، 1913م)، لتتكون لاحقا اتجاهات مختلفة تمثلها المدارس الوصفية البنيوية الأوربية والمدرسة اللغوية الأمريكية،إلى أن ظهر في الثلث الثاني من القرن العشرين رائد النظرية اللغوية الشهيرة بـ: النظرية التوليدية التحويلية المسمى: **ناعوم تشومسكي** (ولد 1228م) بكتبه المنهجية وبحوثه النظرية التي انتشرت عند عدد كبير من الباحثين في الولايات المتحدة وأوروبا وغيرهما، وصاحبها ظهور منهج جديد لا يزال يتطور كل يوم، وهو ما يعرف " بالمنهج التحويلي التوليدي".

- وأصبح هذا العلم (اللسانيات) الذي يختص بدراسة اللغة وأنظمتها في ظل هذا التحول المرحلي في الفكر الإنساني المعاصر، مركز استقطاب دون منازع، وأصبحت كل العلوم تلتجئ إلى (اللسانيات) "سواء كان ذلك في مناهج بحثها. أم في تقدير حصيلتها المعرفية. فإذا هي قطب الرحى في الحركة التأسيسية لكثير من مرتكزات الفكر الإنساني المعاصر، لا من حيث تأصيل المنهج، وتطوير طرائق إخصابه فحسب، بل من حيث أنها تتخذ اللسان البشري مادة لها وموضوعا، الأمر الذي أضفى على اللسانيات طابع الشمولية والاتساع. وما كان ذلك إلا لأن اللغة عنصر ثابت ومشترك بين جميع العلوم الإنسانية " (حساني أحمد، 1999).

- ومنذ بداية القرن العشرين لم تزل اللسانيات تتطور، خاصة بعد أن "وضع(دي سوسير) مفاهيمها التأسيسية بعدما أنجز نقلته المعرفية بمراجعة معايير السلامة المنهجية التي كانت تحصر البحث اللغوي داخل سياج التطور التاريخي، ثم أرسى أساسيات المعمار المعرفي الجديد، وصاغها في جملة من الثنائيات الإجرائية بعد ثنائية التزامن والتعاقب" (المسدي عبد السلام، 2003).

- جاءت النظرية التوليدية التحويلية لتصادر منذ البدء على إعادة المعرفة اللغوية على قواعدها المنسية، وهي أن اللسانيات "لا تنجوا بنفسها من المأزق المعرفي إلا متى كسرت ثنائية الدال والمدلول، وأعادت البحث إلى المعنى الذي تنبع منه القدرة اللغوية. وهو ما فتح ماهية أبستيمية جديدة قد يتراءى لنا أن نحوصلها في أن اللسانيات مع تشومسكي تجرأت على البحث في الإنسان من خلال اللغة، بعد أن كانت مقيدة ببحث اللغة من خلال الإنسان.

لقد ساعد التقدم الهائل في العلوم على إقصاء المقاربة القديمة أو إعادة استثمارها في صيغ تقنية جديدة، و هذا ما حصل في تحول اللسانيات التوليدية التي تخلت عن محورية البحث في اللغة، لتوجه اهتمامها إلى النحو، بل إن الأمر وصل إلى حدوده القصوى عبر التمكن من الإجابة على أسئلة ظلت لعهد قريب فوق طاقة العقل البشري، وهي من قبيل: مم تتكون المعرفة اللغوية؟ كيف يتم اكتسابها؟ كيف يتم استعمالها؟ ما هي العمليات العضوية التي تكون الأساس المادي لنظام المعرفة هذا، ولاستعمال هذه المعرفة؟.

لقد أصبحت الدراسات اللغوية في عصرنا تحتل مكانا مميزا في دائرة اهتمام الفكر والعلم، وذلك بفضل تداخل وتضافر عدة علوم –كما أسلفنا– في كشف جوانب تلك الظاهرة المتفردة: ظاهرة اللغة وأنظمتها. ومن الواضح أن نظرة متعمقة إلى الخطوط العامة في هذا السياق المعرفي،تكشف عن"مؤشرات واضحة لمركزية اللسانيات و تفاعلاتها التي تنضوي تحت ما شهده النصف الثاني من القرن العشرين من ظهور موجة معرفية أطلق عليها: موجة (**العلوم المتداخلة الاختصاص**) **Inter disciplines**، وكان الأساس الجامع لانبثاق هذه الموجة هو وصول فلسفة العلم إلى تحول يكاد يكون جذريا في نقضه لفلسفة العلم الكلاسيكية التي نظرت إلى الظواهر باعتبارها ذرات، أو أجزاء أو عناصر، وليس بالنظر إليها في كليتها القائمة أو من متطور كونها (نسقا) system. وفي إطار هذه الفلسفة الجديدة أصبحت وحدة العلم هي المثل الأعلى الإيجابي للروح العلمية المعاصرة ... وفي قلب هذا الميل إلى التكامل كانت اللغة هي البؤرة الجاذبة، وذلك بسبب الإدراك الحديث لمركزيتها في تشكيل تلك الظاهرة التي تسمى (الإنسان)...ومن ثم تعددت مناهج البحث اللساني، واختلفت باختلاف زاوية النظر إلى اللغة، وباختلاف الغايات والأهداف المنوطة بدراستها" (إسماعيلي علوي حافظ، العناتي وليد أحمد، 2009).

4- أهم المفاهيم النظرية المعاصرة في اللسانيات:

إذا كان مصطلح علم اللغة الحديث يطلق في أغلب الكتابات المعاصرة على اتجاهات البحث في القرن العشرين التي ترجع أصولها النظرية إلى اللغويان –خاصة– السويسري (**دي سوسير**) والأمريكي (**ناعوم تشومسكي**) فإن من المهم الذي نراه، أن نشير إلى أن الكتب المنهجية والبحوث التي انتشرت في هذه الفترة عند عدد كبير من الباحثين المعاصرين، قد اتضحت فيها وميزتها مجموعة من المفاهيم والأسس النظرية الهامة لنظرية اللغة (أوعلم اللغة الحديث) التي يجب أن تكون علامة بارزة في مسار هذا البحث، وهي على الترتيب:

1-2 الحالة الفردية: الحالات القليلة أو الفردية أو الإستثناية عبارات متنوعة لمصطلح واحد يتردد كثيرا في مختلف العلوم المعاصرة، ويخص لما يرد في حالة مفرده أو حالات قليلة لا تحتكم إلى نظام، أي يرد (المصطلح) لما لا يخضع لقاعدة وافق عليها العلماء، بل يخرج عن كل ما قرره العلماء، ويقال لها كذلك الشواذ، فتعفى– إذن– من استنباط نظام لها و"يريد العلماء بوصف حالة ما بكونها استثنائية أو نادرة أو قليلة أو شاذة أن يعفوا أنفسهم من استنباط نظام لها، إذ لا يطالب العلماء في أي علم من العلوم إلا برصد الحالات المطردة، أوعلى الأقل الكثيرة وتقديم أنظمتها ،أما ما يرد شاذا أو قليلا فلا نظام له حتى يطالب العلماء باستنباطه" (محمد عبد العزيز عبد الدايم، 2006).

1-4- الظاهرة: إن الظاهرة اللغوية من حيث هي نظام تواصلي يحقق النزعة الاجتماعية التي يتميز بها الإنسان عما سواه من الكائنات الأخرى، أثارت انتباه الفلاسفة والمفكرين منذ القدم، الأمر الذي جعلها تحظى بتدارس كثيف يهدف إلى استكشاف البنية الجوهرية لهذا النظام (حساني أحمد، 1999).

- ويمكن فهم الظاهرة بشكل أوضح من خلال "علاقتها بالحالات الفردية إذ تعد في الحقيقة مقابلا للحالات الفردية أو الشاذة، فهي تتمثل في الحالات المطردة أو الشائعة أو الغالبة أو الكثيرة التي تحكمها قواعد معينة فلا تقتصر على حالة أو بعض حالات بلا قاعدة، وإنما ترد على نحو مطرد كما ترد وفق قاعدة ما، وهي في الحقيقة نقطة انطلاق العلماء، فمتى كان ثمة ظاهرة لزم العلماء ضبط هذه الظاهرة وبيان قانونها العام.

ويلزم في الحقيقة التأكيد على أمرين هما:

أ- أن مجموع الحالات الفردية الاستثنائية أو الشاذة والحالات المطردة يمثل المادة اللغوية موضوع دراسة النظرية اللغوية (المعاصرة)، ذلك أن لأحد الأجزاء المركزية في علم اللغة هو محاولة الإجابة عن السؤال: ما اللغة ؟ مما يرد مطردا أو غير مطرد.

ب- أن نفرق بين الحالات الفردية أو الاستثنائية التي يقال لها الحالات الشاذة وبين الحالات المطردة التي تمثل ظاهرة، يتمثل في توفر أمرين في الظاهرة دون الحالات الشاذة، هما:

- التكرار الكثير الذي يخرج هذه الحالات عن أن تكون مجرد حالات فردية.

- خضوعها لنظام عام يجمعها"[1].

2-4- النظام:

اللغة نظام كامن في عقل المتحدثين بلغة محددة. وهذا النظام ليس هو مجرد الكلام على المستوى الفردي في مواقف محددة، الكلام له "وجود مادي منطوق أو مكتوب، ولكن النظام اللغوي يتجاوز ذلك الوجود المادي. مجال علم اللغة هو النظام اللغوي، وهو كيان تجريدي. ولكن البحث يعرفه بتحليل المادة اللغوية للكلام. اللغة نظام من الرموز، وكل رمز لغوي له جانبان متلازمان: جانب مادي منطوق مسموع أو مقروء، وجانب معنوي هو المفهوم أو المدلول، والعلاقة بين الدال والمدلول علاقة عرفية" (حجازي محمود فهمي، 1994). فالنظرية اللغوية تتصل بالنظام بالإضافة إلى اتصالها بالسماع أو الاستعمال. أي أن الأنظمة اللغوية هي المجال الثاني الذي تتحرك فيه النظرية اللغوية، وتقدم فيه فروضها العلمية المختلفة.

ويمثل النظام الوجه الذي تستعمل عليه التراكيب، إذ ترد التراكيب على مجموعة محددة من الأوجه والقواعد يلزم تبيينها. إذ لا يكفي أن تحدد ما استعمل من التراكيب دون تحديد الوجه الذي استعملت عليه. أي أنه يمثل تلك القاعدة العامة التي تحكم الأفراد التي اطردت وشكلت ظاهرة ما. فالنظام هو ذلك القانون أو تلك القاعدة العامة التي تحكم أفراد الظاهرة. وتظهر أهمية النظام بالنسبة للدراسات اللغوية من حقيقة أن اللغة ترد في عمومها نظاما "من العلاقات، أي نماذج اصطلاحية تشير إلى شيء وراء نفسها مما يجعلها تعني شيئا، فهي تشتمل على عدد غير قليل من الأنظمة الداخلية" (محمد عبد العزيز عبد الدايم، 2006).

3-4- النظرية:

النظرية هي الوجه المقابل للنظام، لأن العلماء يستنتجون الأنظمة التي تشتمل عليها الظواهر، ثم يقدمون مجموعة من الفروض تصف هذه الأنظمة. وقد نص اللغويون المعاصرون على "علاقة النظرية بالنظام وكونها جهدا ذهنيا وفكريا للغويين أنفسهم ... ولذا يلزم العلماء أن يفترضوا بقدر ما تملك الظاهرة من أنظمة تحكم أفرادها تصورات تقابل هذه الأنظمة، وهم كذلك مطالبون في ذلك بأن يطابق فرضهم النظام ما أمكن بل لا يكون فرضهم صحيحا حتى يطابق النظام الذي يقوم في الظاهرة، ويعني ذلك أيضا أنه يجب أن تشتمل نختلف العلوم على نظريات بقدر ما تملك ظواهرها من أنظمة" (محمد عبد العزيز عبد الدايم، 2006).

فالنظرية إذن، هي: "تلك الفروض الذهنية أو العقلية التي يقدمها العلماء في استنباطهم للأنظمة التي يدرسونها، يقول بعض اللغويين في تعريف النظرية العلمية: إنها مجموعة من الفروض متماسكة بشكل كبير أو قليل يراد به شرح مدى الظواهر. كما يصطلح على أن النظرية هي:

1- بوجه عام، ما يوضح الأشياء والظواهر توضيحا لا يعول على الواقع .

2- جملة تصورات مؤلفة تأليفا عقليا تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات (محمد عبد العزيز عبد الدايم، 2006).

- ويحرص اللغويون على أن تكون النظرية اللغوية المفترضة أبسط النظريات وأكفأها في وصف اللغة التي تقوم عليها، وأن تكون كذلك صالحة للتطبيق على أكبر قطاع من اللغات.

4-4- المنهج:

اصطلاحا هو الطريقة أو مجموعة الإجراءات التي تتخذ للوصول إلى شيء محدد أو وسيلة محددة توصل إلى غاية معينة.

- والمنهج العلمي خطة منظمة لعدة عمليات ذهنية أو حسية بغية الوصول إلى كشف حقيقة أو البرهنة عليها.

ويعني المنهج (Méthode) كذلك"طريقة الفحص أو البحث عن المعرفة. ويراد بمناهج البحث الطرق التي يسير عليها العلماء في علاج المسائل، والتي يصلون بفضلها إلى ما يرمون إليه من أغراض، كما قد يشار اصطلاحيا بالمناهج إلى الأصول التي تتبع لدراسة أي جهاز من الأجهزة اللغوية.

- والمنهج في أبسط تعريفاته اللغوية وأشملها "الطريق والسبيل والوسيلة التي يتدرج بها للوصول إلى هدف معين" (فضل صلاح، 2007)، طريقة يصل بها الإنسان إلى حقيقة ...

5- ما يجب ان يميز الموقف من الدرس اللساني المعاصر في المرحلة اللاحقة:

وقد تناول الدكتور **رابح بوحوش** هذا الإشكال بالدراسة في مقال له بعنوان "**اللسانيات: أهي علم قديم أم علم حديث؟**"، وخلص إلى أن "أهمية العلوم تقاس بمدى انتقال فرضياتها، ونظرياتها من التنظير وتأسيس النظريات التجريدية إلى التطبيق في الميدان، والممارسات العملية، ومن أبرز المناهج التي تولدت من المعرفة اللسانية (المعاصرة)، وتحولت إلى إجراءات وأدوات في دراسة الظاهرة اللغوية (المنهج التاريخي التطوري، والمنهج المقارني، والآني الوصفي، والتقابلي، والبنيوي، والتداولي)... وغيرهم" (بوحوش رابح، 2006). وبعد دراسته لهذه المناهج كل على حدة اتضح له من خلال ذلك أن "اللسانيات قد انتقلت من التخمين، والتقديرات المعيارية، والأحكام الذاتية، ومركبات النقص، إلى الإختبار، والتشريح والإحصاء، والوصف الصارم، وذلك بفضل دقة أهدافها، وصرامة مناهجها، فلم يعد مجال للشك في جدواها، وصرامة مناهجها سواء في حصيلة ممارساتها النظرية والتنظيرية أم التطبيقية والعملية.

عرفت العلوم اللسانية منذ بداية القرن العشرين - بحسب رأي كثيرين - جملة من المدارس والاتجاهات اللسانية المتعاقبة والمتداخلة وأحيانا المتناقضة، مما جعل هذا التطور الحاصل يشهد منعرجات حاسمة، وما

يهمنا في هذا الموضع أن نلقي نظرة عجلة على ذلك التفاعل الحاصل بين ذلك التتابع في تحقيق النتائج الباهرة في ميدان الدراسات النحوية خاصة وبين واقعنا العربي وما حصله من فائدة، فالملاحظ أن "كل دارس قد جلب معه عدة لسانية غربية وحاول أن يهوي على التراث فيعيد تأليفه وفق النظرية التي درسها وتشبع بها هذا أو ذلك، فمن بنيوية **دي سوسير**، إلى سلوكية **بلومفيلد**، وغلوسيماتيك **هيالمسلاف**، ووظائفية **مارتينية**، وتحويلية **هاريس**، وتوليدية **تشومسكي**... وغيرهم كثير. فقلما نجح دارس عربي للسانيات الغربية في أن يصنع منوالا يليق للغة العربية مراعيا خصوصياتها الثقافية دون السقوط في التواطؤ على النتائج التي وصلت إليها الأبحاث الحديثة في الغرب، أو العودة إلى التغني بأسبقية مغمورة، فنتحدث عن بنيوية **الجرجاني**، وتداولية **الجاحظ**..." (الحباشة صابر، 2008).

- وعلى الرغم من أن النظريات اللغوية المعاصرة تمثل تحديا غير بسيط لتراثنا النحوي العربي، فإن الشيء المميز لها حملها في ثناياها وخلاياها خصائص المدرسة اللغوية الأوربية و مصطلحاتها، وهذا ما يسهل نشرها في الأوساط الأوربية على إمكان نشرها في الأوساط العربية، إلا أن هناك من تجاهل كل تلك الحقائق الواضحة، وأبلى في الترغيب في ثقافة الغرب عموما وما أنتجه في دراساته النحوية على الخصوص بصيغ متعددة، منها القول بأن: لا داعي لإقامة بديل عن النحو العربي...

1- فالنماذج الغربية أثبتت كفايتها الوصفية، وليس هناك ما يمكن أن يشكك فيها بهذه السطحية. ولا أحد يستطيع بشيء من الجدية. إلا إذا كان الأمر يتعلق بشعوذة، أن يدعي أننا نحتاج إلى نموذج آخر ينبني على اللغة العربية لوصفها .

2- لا مبرر لتوظيف التراث وفكر الماضي..."خلافا لما قيل ليس هناك ضرورة منطقية أو منهجية أو منطقية ترفض لرجوع إلى فكر الماضي وتصنيفاته ومفاهيمه لمعالجة مادة معينة".

3- النحو العربي مانع من انتشار النماذج الغربية بين اللسانين المحليين "إن التراث عائق في كثير من الأحيان لهاته النهضة في المجال اللغوي والمجال اللساني وأنا أتحدث عن تجربة".

4- اللغة العربية، لغة شاذة، إذا استعصى وصفها على النحو الغربي تجاهلها، ووجب قلبها على قواعده بالإقدام والتعجرف ..." هب أن في العربية إسقاطا إجباريا للضمير كما يفهم من كلام سيبويه، معنى هذا أن هذه اللغة تنفرد وحدها بهذه الخاصية. وأن لا مثيل لها بين اللغات الطبيعية، فهي لغة شاذة في هذا الباب، ولا يمكن أن تعيرها النظرية اللسانية كبير اهتمام، باعتبار أن تقويم النظريات والحكم عليها يقتضي التفريق بين ما هو جوهري أو نووي وبين ما هو هامشي" (عبد القادر الفاسي الفهري، 1986).

5- اللغة العربية..."لغة معقدة وصعبة". وأبرز مظاهر تعقيد اللغة العربية يتمثل في طابعها غير المحدد والمعقد، يجب إذن بأن اللغة العربية حقيقية غامضة ومجردة ...

6- التمسك بلغة القرآن يدل في تقدير التقليدي الحداثي بالإصابة "بالعمى اللغوي والثقافي" والمحافظة عليها تنبئ عن طيش واتقاء الروية، لأن "موقف العرب من لغتهم موقف إيديولوجي أو هو موقف يسير عموما في اتجاه الأرثوذوكسية "إن هم تمسكوا بالعربية بصفتها" لغة القرآن والتراث والدين" (الأوراغي محمد، 2010).

- ولا عجب أن نعثر على مثل هؤلاء المنسلخين إذا عرفنا التأثير البالغ للإكراه الثقافي وآلياته المتنوعة، لصرف هؤلاء الباحثين عن مدارسة المادة النحوية التي خلفها لنا سلفنا في مادة تخصصهم وتوجيههم إلى تعلم مثلها ضمن ما أنتجته هذه الحضارة المعاصرة. وقد عد الدكتور **محمد الأوراغي** بعضا من نماذج هذه الآليات الإكراهية منها:

1- إحكام البناء المنطقي للنماذج النحوية المعاصرة حتى إذا قورنت، من هذه الجهة، بلغويات العربية نشأت بينهما هوة معرفية واسعة، وارتفعت حظوظ إهمال المحي وتقليد الجديد العصري.

2- تأطير النماذج النحوية بنظريات لسانية يستدل من خلالها على كلية مبادئ النحو وقواعده، وعلى صلاحيته لوصف جميع اللغات البشرية،وإن كانت قواعد النحو الكلي مستنبطة من لغة خاصة كالانجليزية. ولإتقان عملية الإستدلال قد لا يظهر الخلل في مثل هذة العبارة ونحوها كثير: "ما ثبتت صحته في اللغة الانجليزية يتوقع أن يكون كليا يستغرق جميع اللغات البشرية ".

3- تصنيف اللغات البشرية باعتبار علاقتها بتقويم النظرية اللسانية إلى صنفين: لغات مركزية فاعلة كالانجليزية تؤثر في النظرية اللسانية بسبب جوهريتها واكتمال نضجها، ولغات هامشية منفعلة كالعربية ونحوها الكثير تتأثر بالنظرية ولا يؤخذ بها في تقويم النظرية والحكم عليها.

4- إذا تعارضت توقعات النظرية اللسانية مع معطيات اللغات المنفعلة وجب تغيير المعطيات وتكيفها والمحافظة على النظرية وتحصينها من النقض. وعليه ليس للمستعين بنظرية غيره في وصف لغته الخاصة أن يغير شيئا في البناء المنطقي للنظرية، لكن له أن يغير في البناء النسقي للغته حتى يعود التوافق بينهما.

5- يمكن توسيع النظرية اللسانية المستنبطة من نحو اللغة الانجليزية حتى تنطبق قواعدها على سائر اللغات البشرية، ولا يجوز العكس، إذ لا تنطبق على الإنجليزية قواعد النظرية الموسعة المستنبطة من لغات أخرى. فمع إقرار صاحب النحو الكلي بكون اللغات البشرية منقسمة إلى لغات شجرية،كالإنجليزية والفرنسية ولغات غير شجرية كالعربية واليابانية فإنه لا يكف عن تصريحه المتكرر باستحالة تطبيق قواعد النمط الثاني من اللغات على لغات النمط الأول، وبالإمكان توسيع الإطار النظري للغات الشجرية ليتناول اللغات غير الشجرية.

6- إذا تعارض وصف النحاة القدامى للغاتهم كوصف **سيبويه** للعربية مثلا، مع وصف النظرية اللسانية المعاصرة لنفس اللغة وجب تغليب الوصف الأخير، لأنه يستجيب للشروط العلمية والصياغة الرياضية، ونعت

صاحب الوصف القديم بالغفلة وقصور النظر... وبدعاوي هؤلاء يكتمل جهاز صرف الباحث عن الإشتغال بثقافة السلف في مجال تخصصه، وشغله بالتقليد المطلق لأفكار المعاصرين" (الأوراغي محمد، 2010).

وأمام هذا الكم الهائل من التحديات التي تشكلها وتوجهها النظريات اللغوية المعاصرة نحب أن نبين أن اللسانيات علم صديق لكل الدراسات اللغوية على مختلف لغاتها، لأنها علم شكل ومنهج وأسلوب وطريقة معالجة وبحث، وليست بالضرورة الحتمية فكرا جديدا فهي كأي أداة حضارية يستعملها البشر من غير التفكير بفكر صانعها مثل السيارة أو أي آلة أخرى، وهذا يعني أن اللسانيات ليست بديلا عن النحو العتيد ولا الصرف التليد ولا المعجم المجيد. فهي إن دخلت هذه العلوم أعادت تنسيقها وتحديثها، لتخرج بثوب جديد لكنه لا يلغي الأصول الصحيحة، ولننظر إلى المورث اللغوي العربي على أنه برج شامخ قديم يحتاج إلى كهرباء تضيء بداخله، ولون يزهو به، وتغير بعض النوافذ، وتحوير بعض المرافق والغرف لكي يبقى صامدا قائما بعمله، وهذا يعني أن اندماج اللسانيات بالعلوم العربية سيعيد إنتاجها من جديد، وهذه الإعادة تحديث لا بد منه عاجلا أو آجلا ... وقد نتأخر بالرضا عن هذا الاندماج ولكن لا مفر منه للمحافظة على بريق العربية، لأن اللغة بوصفها حقيقة استعمالية تبقى قائمة ما دام أهلها يتحدثون بها ويكتبون بها ، لكن علومها ليست من قبيل الحقائق بل من قبيل آليات وصف الحقائق، وهذه الآليات قابلة للتغيير لأسباب مختلفة" (إسماعيلي علوي حافظ، العناتي وليد أحمد، 2009)... فلغتنا باقية ببقاء مركزها اللغوي وهو القرآن الكريم، فلا خوف عليها من منهج يقننها أو يفسرها مادام لا يلغي وجودها.

خاتمة:

ما أشد حاجتنا إلى المزاوجة بين العلم والقرآن وعدم الإعتماد على أحادية العلم فقط لنتجنب الأزمة المنهجية والعقلية والأخلاقية التي نعيشها، فاللغة وجميع أنظمتها قائمة على بنية الوجود من جهة وعلى بنية الفكر من جهة أخرى، فإذا كانت هناك "أسماء وضمائر في اللغات فلأنه توجد كائنات في هذه الدنيا ولئن كانت هناك أفعال فالسبب يعود إلى أنه يطرأ على تلك الكائنات ما نسميه بالحدث ...وما هو معروف في كتب النحو بالنعت، مرجعه إلى أن تلك الكائنات لها صفات معينة .ولئن كان المحل من الإعراب بتغيير من حالة الرفع إلى النصب أو الجر فذلك التغير يشير إلى حالات معينة تطرأ على تلك الكائنات إما من حيث الصفات، أو من حيث الحدث أو من حيث العلاقات القائمة بينها" (بن عيسى حنفي، 1999)، وعملية الربط بين هذه المفاهيم وما يتعلق بواقع حركية المعرفة يتماشى مع حد بعيد مع حركية الوجود المطلق ومع السياق الواقعي المتجدد والمتغير.

تجنبا للإنزواء في الموروث القديم وللانبهار بالمعطيات التقنية للدرس النحوي المعاصر، وطلبا في الآن نفسه لتوأمة واعية بينهما، لأننا نرى أن في كل منهما صالح مفيد يظهر بوضوح أمام مقابلة علمية بينهما بعيدا عن عقدة التأثر والتأثير،

ثم إن التأثير والتأثر سمة إنسانية، فليس عيبا أن نستفيد من غيرنا ولكن العيب استمرار هذه الاستفادة في اتجاه واحد وغيرنا يتقدم علينا، إن أدركناه في محطة سبقنا إلى محطات أخرى كثيرة. فهل آن الأوان لنا أن نشب عن الطوق في نشاطنا العلمي، وأن نتوقف عن هوايتنا الهدامة في الانتقاص من أنفسنا ومن انتقاص تراثنا العربي؟.

قائمة المصادر والمراجع:

1) أحمد مختار عمر. (1998). البحث اللغوي عند العرب. القاهرة: عالم الكتب.

2) إسماعيلي علوي حافظ، العناتي وليد أحمد. (2009). أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية. الجزائر: دار الاختلاف.

3) الأوراغي محمد. (2010). لسان حضارة القرآن. الجزائر: منشورات الاختلاف.

4) الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمان. (1992). دلائل الإعجاز. مصر: مطبعة المدني.

5) الحباشة صابر. (2008). اللغة والمعرفة (رؤية جديدة). سوريا: صفحات للدراسات والنشر.

6) الخالدي كريم حسين ناصح. (2007). الخطاب النفسي في القرآن الكريم، دراسة دلالية أسلوبية. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.

7) الراجحي عبيدة. (1995). النحو العربي والدرس الحديث. القاهرة: عالم الكتب.

8) الرافعي مصطفى صادق. (1973). إعجاز القرآن الكريم والبلاغة النبوية. بيروت: دار الكتاب العربي.

9) المسدي عبد السلام. (2003). العربية والإعراب. تونس: مركز النشر الجامعي.

10) الملغ حسن خميس سعد. (2000). نظرية التعليل في النحو العربي بين النحاة القدماء والمحدثين. عمان: دار الشروق.

11) بغدادي بلقاسم. (1992). المعجزة القرآنية. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

12) بن عيسى حنفي. (1999). محاضرات في علم النفس اللغوي. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

13) بوحوش رابح. (2006). اللسانيات: أهي علم قديم أو حديث؟ مجلة اللسانيات واللغة العربية، صفحة 229.

14) تمام حسان. (2000). دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب. القاهرة: عالم الكتب.

15) تمام حسان. (2008). اجتهادات لغوية. القاهرة: عالم الكتب.

16) حجازي محمود فهمي. (1994). البحث اللغوي. مصر: دار غريب للطباعة والنشر.

17) حساني أحمد. (1999). مباحث في اللسانيات (مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيبي). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

18) حلمي خليل. (دت). مقدمة لدراسة علم اللغة. مصر: دار المعرفة الجامعية.

19) عبد الرحمان الحاج صالح. (2008). أدوات البحث العلمي في علم المصطلح الحديث. مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، صفحة 22.

20) عبد القادر الفاسي الفهري. (1986). اللسانيات واللغة العربية. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.

21) علي مزهر محمد الياسري. (2003). الفكر النحوي عند العرب مناهجه وأصوله. بيروت: الدار العربية للموسوعات.

22) عمايرة حليمة. (2006). الاتجاهات النحوية عند القدماء (دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة). الأردن: دار وائل للنشر.

23) عيسى شحاتة عيسى علي. (2001). الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

24) فضل صلاح. (2007). في النقد الأدبي، دراسة. دمشق: اتحاد الكتاب العرب.

25) محمد عبد العزيز عبد الدايم. (2006). النظرية اللغوية في التراث العربي. مصر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

باوني عبد الله، (2023)، **الموقف من الدرس اللساني المعاصر بين الانقسام الحاصل والتغيير المنشود** ، مجلة أنسنة للبحوث و الدراسات، المجلد 14 (العدد 2)، الجزائر: جامعة زيان عاشور الجلفة، ص.ص 177-193.